حول مخطوط

بقلم امين نخله

وجدتُ إذ انا أطالع ما علّق الشيخ عبد القادر المغربيّ في « مجلّة المجمع العلميّ العربيّ » (٧ : ٣١١) على الأخبار التي ساقها من « تحفة الأدب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب » المخطوط ، للشيخ احمــد بن صالح بن منصور المعروف بالأدهمي الحنفيّ الطرابلسيّ المتوفّى سنة ١١٥٩ هـ. (١٧٤٦ م.)[1] ما يأتي :

« وهنالك جرت مذاكرات ادبية نضرب عن ذكرها صفحاً ومنها قول جميل :

بثينة تزري بالغزالة في الضحى كأن أباها الظبي أو أمها المها

« قال المؤلف [ولهذا البيت حكاية لطيفة أوردتها في شرحي على القصيدة المقرّية] ويعني بالقصيدة المقرّية قصيدة الشيخ المقري[2] التي مطلعها :

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامه

« واسم شرحه عليها [الكواكب السنية شرح القصيدة المقرّية] . قال المرادي انه شرح حسن مفيد يدل على فضل المؤلف » .

فهذا الكتاب (الكواكب السنيَّة) منه نسخة في مكتبة باريس ، ومنه نسخة في مكتبتنا . قال الأب شيخو في مجلّة « المشرق » (٢٣ : ٤٩٩) : « وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المَقَّريَّة للأدهمي Ms de Paris. 3245. ff. » الى آخر قوله . وقد ذكر الفيكونت طرّازي ، في كتابه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » هذه النسخة التي في يدنا . قال بعنوان « المكتبة النخليَّة » (١ : ق١٧) : « وتتضمَّن هذه الخزانة بعض مخطوطات نادرة نذكر منها كتاب [الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المقَّريّة] » الى آخره .

أمّا نسختنا فهي مجلّد متوسّط الحجم ، من الورق الثخين المصقول ، يقع في

---

١) تجد ترجمته في « سلك الدرر » للمرادي (١ : ١٦٩ — من الطبعة الأولى) .

٢) ابو العباس احمد بن محمد بن احمد المقري التلمسانيّ (ما هنا ضبط [معجم البلدان] — ٤ : ٨٠٢ ، من الطبعة المصرية) صاحب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » . قال في « إعجام الأعلام » (ص ١٨٨) : « ونسبته الى قرية تسمى مقر ببلاد المغرب نسب إليها آباؤه » .

٣٤٩ ورقة (فانّ الناسخ يمدّ فيه بالصحيفة ، لا بالصفحة) . وفي كل صفحة ٢٠ سطرًا وفي كل سطر ١٢ كلمة ، على الغالب . وطول كل ورقة ٢١ سنتيترًا وعرضها ١٥ . وقد جاء في آخر الصفحة الثانية من الورقة ٣٤٠ : « وكان الفراغ من تسويده وتحريره ليلة نصف ربيع الآخر عام ١٢٥٠ من الهجرة النبويَّة على صاحبها افضل الصلاة والسلام انتهى كلام الشارح والماتن على يد محرِّره لنفسه الحاج احمد الرباط الحلبي وطناً الشافعي مذهباً عفي عنه آمين » . وهي منقولة عن مبيَّضة المؤلِّف . قال الناسخ في الصفحة الاولى من الورقة ٣٤١ : « وقد وجدت هذه الرسالة المسماة بالكواكب السنيَّة شرح القصيدة المقَّرِيَّة مبيضة مسودة المؤلِّف عمدة الكرام الفخام » الى آخره . إلا ان الغلطات النسخيَّة فيها ليست قليلة . اما الخطّ فجيّد . وفي طرف الورقة الثالثة من الورقات الخمس التي كتب فيها الناسخ طائفة من أطايب الشعر والنثر ، ثمّ القصيدة المقَّرِيَّة ، ثم قصيدة « السيّد محمد سعيد ، من طالعه سعيد ، الملقَّب باللقيمة[1] مادحاً ولده[2] السيد احمد افندي الأدهمي الشارح للقصيدة المقَّرية » : « نظر فيه وتأمل معانيه الحقير الفقير إلى الله تعالى السيد صالح ابن السد احمد بن المرحوم الشيخ محمد القادري [هنا كلمة غير مقروءة] الميداني الحُوام في ١٩ جماد الثاني سنة ١٢٥٧ عفى الله عنه امين » . ثم يلي هذه الهامشة : « نظر فيه ثاني المذكور اعلاه السيد صالح في ٢٠ ذا القعدة سنة ١٢٥٧ » . ثم يلي هذه : « نظر فيه الفقير الى الله تعالى السيد عبد الغني جربجي عمرين في ٢٠ ذو القعدة ١٢٥٧ » . ثم يلي هذه : « دخل في ملك فسيح الرحاب المستطاب افتخار البكوات الكرام وعين الأعيان المعتبرين المميّزين المقام عباس بيك نخله دام كيف رام هديتنا على سبيل المحبة والتبريك والاحتشام بعد زيارة مقام الشيخ الرباني الروحاني العارف الشيخ علي بن ميمون المغربي واصله احسان من الوزراء العظام في ١٤ جمادى الثاني سنة ١٢٨٨ على صاحبها اشرف التحية والسلام . كاتبه الداعي بالاحتشام محمود القادري الحمصي خادم العلم الشريف بمحروسة الشام زادها الله من البركات والانعام » . وعباس

١) الصواب: اللقيمي؛ على النسبة . راجع « سلك الدرر » (٤: ١٥٤) .

٢) كذا في هذه الورقة من المخطوط ، وقد جاء في الصفحة الأولى من الورقة ٣٤١ : « ومؤلفه السيد احمد ادهمي السعيد » . والذي في « سلك الدرر » (١: ١٦٩) ان والد المؤلِّف هو صالح بن منصور ، كما مر بك . فانت ترى ان المسألة تقتضي تحقيقاً طويلاً ليس هنا محله .

بك هذا هو ابن عمّ جدّنا ، وهو الذي انتقلت النسخة من خزانة كتبه الى خزانتنا[1] . ويظهر من هذه الهامشة ان كاتبها حفيد لصاحب الهامشة الأولى ، وانه زار في سنة ١٢٨٨ هـ . (١٨٧١ م .) ضريح السيد علي بن ميمون في مجدل معوش[2] ، من قرى العرقوب الشماليّ في الشوف ، من بلاد الجبل ، ثم قصد الباروك من قرى العرقوب الجنوبيّ ، ولقي فيها عباس بك ، وأهدى اليه الكتاب . وابن ميمون هو ، كما في « شذرات الذهب » (٨ : ٨١–٨٢ ، من طبعة مصر ١٣٥١ هـ.) : « العارف بالله سيدي علي بن ميمون بن ابي بكر بن علي بن ميمون بن ابي بكر بن يوسف بن اسماعيل بن ابي بكر بن عطآء الله بن حسّون ابن سليمان بن يحيى بن نصر الشيخ المرشد المربّي القدوة الحجّة وليّ الله تعالى السيد الحسيب النسيب الشريف ابو الحسن بن ميمون الهاشميّ القرشيّ المغربيّ الغماريّ أصله من جبل غمارا بالغين المعجمة من معاملة فاس وسكن مدينة فاس واشتغل بالعلم ودرّس ثم ولي القضاء ثم ترك ذلك ولازم الغزو على السواحل

١) تجد جانباً من ترجمة حاله في « تأريخ الماتورا » للهاشم (ص ٤٤٣) وتجد شيئاً من أخباره في « قلائد المرجان في تأريخ شمالي لبنان » لكرم (٢ : ٢١٩–٢٢٠) وفي « محسن الخزان » لوالدي (٥–٦) .

٢) في « معجم البلدان » لياقوت (٧ : ٣٨٧ [مادة: مجدل [– من الطبعة المصرية) : « مجدل بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال واللام وهو القصر المشرف وجمعه مجادل » الى ان قال: « قيل مجدل بفتح الميم اسم موضع في بلاد العرب » .

وفي « تسريح الأبصار » للأب لامنس (٢ : ٢٤٢ – من الطبعة الثالثة) : « وبناء على هذا المبدإ كتب العامة [مجد البنا – ضيعة في الجرد الشمالي – [وكان حقها ان تكتب مجدل بنا . وهكذا قل عن [مجد المعوش [والصحيح مجدل معوش . وجرى الشعب على هذه الطريقة لأنه لم يكن يعرف ان مجدل هي لفظة كنعانية قديمة ومعناها قلعة فنقلها الى لفظ عربي متشابه » .

وفي مجلة « المشرق » (٣٧ : ٣٨٧) ان « مجدل » سريانية . وفي المجلد المذكور (ص ٤٠٨) – نقلاً من جدول الأب حبيقه : ان « مجدل » سريانية ، ومعناها برج .

وفي « دليل لبنان » للأسود (ص ٤١٦ – من الطبعة الثالثة) : « مجد المعوش سريانية » .

وقال الاستاذ المعلوف في مجلة « النعمة » (١ : ٢٧٩ – في الحاشية) : « المجدل كلمة كنعانية تعني قلعة وأضيفت الى كثير من اسمآء القرى مثل مجدل انماتوره ومجدل بعنا ومجدل المعوش في لبنان » . وقال في مجلة « الآثار » (٣ : ٤٢) : « مجدل قصر أو برج » . وقال في « معجم تحليل اسمآء الأماكن » المخطوط ، الذي اطلعنا عليه في « الخزانة المعلوفية » ، (مادة مجدل) : « مجدل معوش – مجدل : قصر ، ومعوش : صنم كان يمثل بالعجل للعبادة » .

والذي عندنا ان « مجدل » و « معوش » آراميتان ، وان للمعنى : قلعة (التي من معانيها القصر والبرج والحصن) الثابتة . ففي معجم « دليل الراغبين في لغة الآراميين » للأب منا (ص ٩٢ [مادة مجدل] ، من طبعة سنة ١٩٠٠) : « مجدل: قصر = برج = حصن » . وفيه (ص ٥٣٦ [مادة عوش) [: « عوشو : أرض ندية = رطوبة . تندوة = حشيش . تعشبان . عبدان

وكان رأس العسكر ثم ترك ذلك ايضاً وصحب مشايخ الصوفيّة . منهم الشيخ عرفه القيرواني فأرسله الى أبي العباس احمد التوزيّ الدباسيّ — ويُقال التباسيّ بالتاء — ومن عنده توجّه الى المشرق . قال الشيخ موسى الكناوي فدخل بيروت في أوّل القرن العاشر » الى ان يقول (ص٨٣) : « وكان يقول : جراب الزّفوت السكوت ومن وصاياه اجعل تسعة اعشارك صمتاً وعشرك كلاماً وكان يقول: الشيطان له وحي وفيض فلا تغترّوا بما يجري على ألسنتكم من الكلام في التوحيد والحقائق حتى تشهدوه من قلوبكم. وكان ينهى أصحابه عن الدخول بين العوامّ وبين الحكّام ويقول ما رأيت لهم مثلاً إلا الفار والحيّات فان كلّاً منهما مفسد في الارض . وكان شديد الإنكار على علماء عصره ويسمّي القضاة القصاة . ومن كلامه لا ينفع الدّار إلا ما فيها . ومنه: لا تشتغل بعدّ أموال التجار وأنت مفلس . ومنه : اسلك ما سلكوا تدرك ما أدركوا ومنه : عجبت لمن وقع عليه نظر المفلح كيف لا يفلح . ومنه : كنزك تحت جدارك وأنت تطلبه من عند جارك . وله من المؤلّفات : شرح الجروميّة على طريقة الصوفيّة وكتاب غربة الإسلام في مصر والشام وما والاهما من بلاد الرُّوم والأعجام ورسائل عدّة منها رسالة لطيفة سمّاها تنزيه الصديق عن وصف الزّنديق ترجم فيها الشيخ محيي الدّين ابن العربيّ ترجمة في غاية الحسن والتّعظيم . وذكر ابن طولون انه دخل دمشق في أواخر سنة اثنتي عشرة وتسعمائة ونزل بحارة السكّة بالصالحيّة وهرع الناس اليه للتبرّك به وممّن صعد اليه للأخذ عنه الشيخ عبدالنبي

عفنة نديةً = غابة . أجمة كثيفة . كثافة . اشتباك شجر » . هذا وفي مجدل معوش موضع يقال له الى اليوم : القلعة ، وعلى قرب منه شجرات من السنديان ، كبار قدائم ، منها دوحة عيدانة عيقة ، غاية في الفخامة ، وهي مشهورة في بلاد الجبل ، مما يدل على ان المكان ، في القديم ، كان شجيراً . وأضف ان الميم في السريانية يدخل للدلالة على المفعول فيه .

وقد اضطرب النقلة في تحقيق هذا الاسم . فهو في « أخبار الدول وآثار الأول » للقرماني (في الهامش من تاريخ [الكامل] لابن الأثير — من طبعة مصر — ٦ : ١١١) وفي نسخة منه (طبعة بغداد [على الحجر] ، ص ٤٨٩) وفي نسخة منه مخطوطة ، اطلعنا عليها في « خزانة كرسي مطرانية بيروت المارونية » وقد كتبت في سنة ١٢٠٩هـ ، أي ١٧٩٤م، (الفصل د [المعجم] ، حرف الميم) مجدل مغوش ، بالغين المعجمة . وجاء في نسخة من « أخبار الدول » مخطوطة ، كتبت في سنة ١١٢٠هـ. أي ١٧٠٨م . وقد اطلعنا عليها في « الخزانة المعلوفية » (ص ٦١٣): مجدل معوس ، بعين وسين غير معجمتين . وجاء في « شذرات الذهب » لابن العماد (من طبعة مصر ، ١٣٥١هـ) في ثلاثة مواضع على ضبطين . في « ٨ : ٨٤ » : مجدل معوش ، بعين غير معجمة ، وفي « ٨ : ٣٣٢ » و « ٨ : ٣٣٨ » مجدل مغوش ، بالمعجمة .

شيخ المالكيَّة والشيخ شمس الدين بن رمضان شيخ الحنفيَّة وتسلكا على يديه هم وخلق من الفضلا. وقال سيدي محمد بن عراق(*) في سفينته انه لم يشتهر في بلاد العرب بالعلم والمشيخة والإرشاد إلا بعد رجوعه من الرُّوم الى حماة سنة احدى عشرة ثم قدم منها الى دمشق في سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة قال وأقام في قدمته هذه ثلاث سنوات وخمسة اشهر واربعة عشر يوماً يربي ويرشد ويسلك ويدعو الى الله على بصيرة . قال واجتمع عليه الجمّ الغفير ثم دخل عليه قبض وهو بصالحية دمشق واستمرَّ ملازماً له حتى ترك مجلس التأديب وأخذ يستفسر عن الأماكن التي في بطون الأودية ورؤوس الجبال حتى ذكر له سيدي محمد بن عراق مجدل معوش فهاجر اليها في ثاني عشر محرَّم هذه السنة . قال سيدي محمد بن عراق ولم يصحب غيري والولد علي وكان سنه عشر سنين وشخصاً آخر عملًا بالسنَّة وأقمت معه خمسة اشهر وتسعة عشر يوماً

---

*) ابن عراق « اشتغل بالرياضة عند ابن ميمون » و « كان عالماً زاهداً صاحب تقوى وجاور مدة عمره بعد وفاة شيخه ابن ميمون بمدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم مات ودفن بها قدس سره » — راجع « الشقائق النعمانية » (ص ٥٤٣) . وراجع ترجمته المسهبة في « شذرات الذهب » (٨ : ١٩٦–١٩٩) .

وفي رسالة « عمدة الصفوة في حل القهوة » للأنصاري (مجلة الضياء [١ : ٦٥٢] — وقد نشرها أيضاً في باريس [سنة ١٨٢٦] دي ساسي ، وذلك في مجموعه « أنيس المفيد للطالب المستفيد » [١ : ١٣٨–١٦٩] وترجمها الى الفرنسية ، وعلق عليها : « وبلغ الشيخ العارف بالله محمد بن عراق لما قدم الى مكة في ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين انه كان يفعل في بيوت القهوة اشياء من المنكرات فأشار على الحكام بإبطالها مع تصريحه بحلها في حد ذاتها لغير واحد بحيث بلغ منه التواتر المفيد للقطع وكذلك لم يتعرض لإبطالها من المدينة طول اقامته فيها » — راجع في شأن اختلاف العلماء في القهوة مجلة « الآثار » (١ : ٢٣٦–٢٣٧) .

ولابن عراق ثلاثة أولاد أخذوا عنه (شذرات الذهب ٨ : ١٩٩) منهم شرف الدين القاضي . قال في « شذرات الذهب » (٨ : ٣٣٢) : « ولد بمجدل معوش سنة عشرين وتسعمائة وكان فاضلًا لبيباً أديباً حسن المحاضرة » الى آخره . ومنهم سعد الدين ، قال في « شذرات الذهب » (٨ : ٣٣٧) : « ولد كما ذكره والده في السفينة العراقية سنة سبع وتسعمائة بساحل بيروت » الى أن يقول: « وأخذ القراآت عن تلميذ ابيه الشيخ احمد بن عبد الوهاب خطيب قرية مجدل معوش وعن غيره » الى ان يقول : « وله اشتغال في الفرائض والحساب والميقات وقوة في نظم الأشعار » الى أن يقول (ص ٣٣٨) : « أشهر شرب القهوة فكثرت من يومئذ حوانيتها » .

وذكر الأمير شكيب ارسلان في « الارتسامات اللطاف » (ص ١٣١) ان الشيخ نور الدين علي ابن محمد بن عراق مؤلفاً اسمه « نشر اللطائف في قطر الطائف » ، وهو عنده ، أرسل به اليه ، مصوراً بالفوتوغرافية ، احمد باشا تيمور . قال الاستاذ الزركلي في « الأعلام » في ترجمة الشيخ نور الدين (ص ٦٩٦ — مادة علي) : ينقل من « در الحبب » المخطوط : « ونشر اللطائف في قطر الطائف رسالة صغيرة في تأريخ الطائف » .

وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في أرض موات بشاهق جبل حسبما أوصى به قال ودفن خارج حضرته المشرّفة رجلان وصبيان وامرأتان وايضاً امرأتان وبنتان. الرّجلان محمد المكناسي وعمر الأندلسي والصبيّان ولدي عبدالله وكان عمره ثلاث سنين وموسى بن عبدالله التركماني والامرأتان امّ ابراهيم وبنتها عائشة زوجة الذعري والامرأتان الأخريتان مريم القدسيّة وفاطمة الحموية وسألته عند وفاته اين أجعل دار هجرتي فقال مكان يسلم فيه دينك ودنياك ثم تلا قوله تعالى : «الذين تتوفّاهم الملائكة – الآية» . وفي «الشقائق النعمانيّة» (في هامش وفيات الأعيان – طبعة بولاق، ١٢٩٩ هـ.) لطاش كبري زاده، في ترجمة ابن ميمون (ص٥٤٠) : « وكان لا يخالف السنّة حتى نقل عنه انه قال لو أتاني بايزيد ابن عثمان لا اعامله إلا بالسنّة. وكان لا يقوم للزائرين ولا يقومون له . واذا جاء اهل العلم يفرش جلد شاة تعظيماً له» الى ان يقول (ص٥٤١) : « وكان لا يقبل الوظيفة ولا هدايا الامراء والسلاطين» . وفي «الأعلام» للزّركلي، في ترجمة ابن ميمون (ص٧٠٣ – مادّة عل) ينقل من «الكواكب السائرة» و «السّنا الباهر» المخطوطين : « وله مؤلفات منها [غربة الإسلام في مصر والشام وما والاهما من بلاد الرُّوم والأعجام] و [تنزيه الصديق عن صفات الزنديق] دفاعاً عن ابن عربي، وبضع عشرة رسالة، ونظم» . وذكر الاستاذ الزيّات في «خزائن الكتب في دمشق وضواحيها»، في كلامه على ما لم يُنشر بالطبع من مخطوطات «الخزانة الظاهريّة»، في دمشق، هذا كتاب «غربة الإسلام»، مع اختلاف في الإسم، وقد أورده في مخطوطات فنّ التصوُّف، قال (ص٦٠) : «بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من أهل مصر والشام وما يليها من بلاد الأعجام لأبي الحسن علي بن ميمون الأندلسي» . وفي حاشية على الصفحة ٥٦ من كتاب «خزائن الكتب» المذكور مثال من كتابة ابن ميمون، ساقه المؤلّف من كتاب «غربة الإسلام» للاستشهاد على انّ عادة اختلاط النساء بالرّجال، مع علم تنقّبهنّ منهم، قد بقيت الى ما بعد القرن العاشر للهجرة . قال ابن ميمون، هناك، ينقل عن الوعّاظ والخطباء في دمشق وغيرها : « انهم يجمعون بين النساء والرّجال بغير حجاب في المساجد والمجامع . والنساء مترفلات في زينتهنّ حلياً وحللاً متبخترات

متعطرات مفتنات مائلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ».

وقد شهرت قرية مجدل معوش في كتب العلماء بتزوج ابن ميمون اليها، وبتربته ودفنه فيها . ومن ذلك ما ذكر القرماني[1] في معجم « أخبار الدول وآثار الأول » قال (ص٤٨٩ — من طبعة بغداد، ١٨٦٥) : « مجدل مغوش [كذا بالمعجمة] — قرية من أعمال بقاع العزيز من الشام مدفون بها السيد علي بن ميمون المغربي قدس الله سره توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة » . وقد كان أهل مجدل معوش، في أيام ابن ميمون مسلمين، كلهم، ولم يطوَ بساط الإسلام فيها إلا في نحو سنة ١٦٠٩، وذلك في خبر ورد في « مختصر تاريخ الطائفة المارونية » المخطوط[2] للدويهي (في المكتبة الشرقية — قسم المخطوطات : ٣٦) ونحن نورده، هنا، بلفظه . قال الديهي : « سنة ألف وستماية وتسع وقعت فتنة بين مسلمي قرية مجدل معوش فكثرت القتلة بينهم فاتفقوا على بيع القرية

---

١) هو — كما في « معجم المطبوعات العربية والمعربة » (ح : ١٥٠٥) — « ابو العباس احمد جلبي بن يوسف بن احمد الشهير بأحمد بن سنان القرماني الدمشقي » . انظر ترجمته في « خلاصة الأثر » (١ : ٢٠٩—٢١٠ ، من طبعة الوهبية) وانظر ترجمة سنان القرماني في « شذرات الذهب » (٨ : ٣٤٧). قال الأب شيخو في « تقويم المخطوطات التاريخية في المكتبة الشرقية » الفرنسوي اللسان (١٩٢٥—١٩٢٩) ما معربه : ان عائلة القرماني أصلها من قرامان Caramanie . وأورد ياقوت في « معجم البلدان » (٧ : ٦٢ — من الطبعة المصرية) قرمان ، بالفتح ، ثم السكون ، عن ابن دريد في « الجمهرة » ، ولم يزد على هذا الضبط . وفي نسخة « آثار الدول » الحجرية (ص ٤٧١) : « قرمان » . وفي نسخة « خزانة كرسي مطرانية بيروت المارونية » (الباب ٥٤) : « قرامان » ، أي بألف ؛ ثم يقول : « دولة آل قرامان » حيث جاء في النسخة الحجرية (ص ٣٩٢) : « دولة آل قرمان » ، بغير ألف . وفي نسخة « الخزانة المعلوفية » (ص ٣٩٥) : « قرمان » وقد رقم بخط قديم في أول هذه النسخة : « تاريخ قره ماني » ، وهو خبط عجيب . ووردت لفظة قرمان بلا ألف في نسخة « اخبار الدول » في « المكتبة الشرقية » (هذه النسخة مخرومة الأول والآخر ، فلا يعرف زمن نسخها) ؛ وفي النسخة المطبوعة في هامش الجزء ٦ من تاريخ « الكامل » لابن الأثير (من الطبعة الأولى) ؛ وذلك في جميع المواضع المذكورة في هذه الحاشية . أما « أخبار الدول » فقد « لخصه القرماني من تاريخ الجنابي ، وزاد فيه أشياء مع إخلال في كثير من الدول » — راجع « كشف الظنون » و « راشد سوريا » لبولاد (١ : ٧٠) .

٢) في اول هذا المخطوط : « هذبه ونقحه واختصره الشيخ طنوس الشدياق سنة ١٨٤٠ » — أي صاحب « أخبار الأعيان » . وقد ذكر زيدان هذا المخطوط في « آداب اللغة العربية » (٤ : ٢٨٥— من الطبعة الأولى) وذكره الزركلي في « الأعلام » (٢ : ٥٠٤ — مادة طنس) ، واسمه في الموضعين : « مختصر تاريخ البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني » .

والخروج منها فاشتراها منهم الامير علي[1] ابن الامير فخر الدين المعني باثني عشر الف قرش وسلّمها للنصارى ». وهذا الخبر ورد ايضاً، مع اختلاف يسير في اللفظ، في « تاريخ الطائفة المارونية » للدويهي (ص ١٨٩ — من طبعة بيروت، سنة ١٨٩٠) ولكنّه يقول في المتن: « دفعتها النصارى » بدلاً من « وسلّمها للنصارى » التي في المخطوط، ثم يعلّق في الحاشية: « ويروى: وسلّمها للنصارى ». وورد ذلك الخبر، ايضاً، في الصفحة ٢ من الصحيفة ١٢٣ من « تاريخ الأزمنة » المخطوط، للدويهي (في مكتبة الفاتيكان — عدد: ٢١٥ من المجموعة السريانية[2]). قال الدويهي ما ننقل بحرفه: « وصدف ان في ذلك الزمان انفتنوا المسلمين سكان قرية مجدلمعوش في بعضهم وكثرت بينهم القتلى حتى انهم اتفقوا على بيع القرية والخروج منها فاشتراها منهم — يريد الامير فخر الدين — ودفعها للنصاره. فنزل فيها — يريد البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني[3] الماروني — وعمر

---

١) راجع طائفة من أخباره في « تاريخ الامير فخر الدين المعني » للخالدي و « خلاصة الأثر » للمحبي و « الغرر الحسان » للأمير حيدر و « أخبار الأعيان » للشدياق و « تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » للمعلوف، و « فخر الدين الثاني » لقرألي، ومجلة « المشرق » (المجلد ٣٠) ومجلة « الآثار » (المجلد ١ و٢ و٣) و « المجلة البطريركية » (المجلد ١١) من المراجع العربية: وفي « الأرض المقدسة » لروجه و « تاريخ السلطنة العثمانية » لدي هامر و « تاريخ فخر الدين » لماريتي ورحلة سانديس من المراجع الاجنبية. وقال الاستاذ المعلوف في كتابه المذكور (ص ٣٢٤): وذكر كثير من المؤرخين أخباره — يريد الأمير علياً — ومنهم مصطفى نعيما الحلبي في تاريخه التركي » الى آخر قوله.

٢) راجع « فخر الدين المعني الثاني » لقرألي (٢: ٣٧).

٣) في « سلسلة بطاركة الطائفة المارونية » (ص ٣٧ — من الطبعة الثانية) و « تاريخ الطائفة المارونية » للدويهي (١٨٥ و١٨٧ و١٨٨ و٢٠٦) وفي « الدر المنظوم » لسعد (١٥٩) وفي نسخة من « مختصر تاريخ لبنان » المخطوط: لشماس انطونيوس ابي خطار العينطوريني — وهي من كتب خزانتنا، وقد نسخت في سنة ١٨٥٥ — (٧٣ و٩٨) وفي « تاريخ سورية » (٧: ٢٩٦) و « التاريخ المتصل » للدبس (٣٥٠) وفي ترجمة الدويهي » لشبلي (١٦٧ الحاشية ٢ — ينقل من المكتبة الشرقية للسمعاني (١: ٥٥٢) وفي « دواني القطوف » للمعلوف (١٩٠) وفي « تاريخ اهدن » لخازن (٣٥٩) وفي سائر المراجع اللبنانية ان هذا البطريرك اهدني المنبت، الا « تاريخ الماقورا » للهاشم، فقد جاء فيه (ص ٢٠٧) ان مخلوفاً من الماقورا. وهناك اختلاف في تعيين سنة وفاته، والصواب ما في مجلة « المشرق » (٢٢: ٥٨٩) و « فخر الدين المعني الثاني » لقرألي (٣٤٩، الحاشية الأولى) وهو أن مخلوفاً توفي في ١٥ من كانون الأول ١٦٣٤، لا كما ذكر الدويهي في « تاريخ الطائفة المارونية » (٢٠٦) وتابعه عليه الفريق الآخر من المؤرخين اللبنانيين.

له فيها دار وكنيسة[1] وسكن بها جماعته ». وقد تناقل هذا الخبر جماعة من المؤرخين اللبنانيين ، منهم الشدياق في « أخبار الأعيان » (ص: ٢٥٤) ، إلا انه يقول ان الذي اشترى القرية هو الأمير علي لا أبوه فخر الدين ، ومنهم مسعد في « الدر المنظوم » (ص: ١٥٩) لكنه يكتفي بذكر اقامة البطريرك مخلوف بجدل معوش ، وبنائه فيها الكنيسة والدار ، ومنهم الشيخ شيبان الخازن في « تأريخ عائلة المشايخ الخوازنة » المخطوط[2] (ص: ١٤ و ١٥ — اطلعنا عليه عند الشيخ كسروان الخازن) وهو يعزو الشراء الى الأمير علي ، ومنهم الدبس في « تأريخ سورية » (٧: ٢٩٨—٢٩٩) و « الجامع المفصّل » (ص٣٥٢) ، وقد قال في الموضعين ان الأمير علياً كان قد اشترى القرية من سكانها المسلمين وأسكن فيها جماعة من النصارى ، قبل أن يفد البطريرك على الأمير فخر الدين ، ومنهم الشرتوني في « سلسلة بطاركة الطائفة المارونية » للدويهي (ص: ٣٧ — في الحاشية) ، وقد اقتصر على ذكر نزوح البطريرك وبناء الكنيسة والدار ، وأمسك عن مسألة الفتنة وبيع القرية ، ومنهم غبريال في « تأريخ الكنيسة المارونية » (ص: ٤٥١ و ٤٥٢) وقد نقل الخبر من « تأريخ الطائفة المارونية » بحرفه ،

١) قال الدبس في الصفحة ٢٩٩ من « تأريخ سورية » وفي الصفحة ٣٥٢ من « التأريخ المتوصل » ولفظه واحد في الموضعين : « وقد زرناها مرات لانها باقية الى اليوم » . ولقد زرناها نحن قبل سنة ١٩٢٤ مراراً ، أي قبل أن ترم وتصلح ، وشاهدناها في حالها المتقادمة . أما اليوم فان الترميم قد عفى ذلك الأثر الخلاّب .

٢) من هذا المخطوط نسخة في خزانة « مدرسة القديسين بطرس وبولس » في عشقوت : ذكر عنها الأب شبلي في مجلة « المشرق » (٢٥: ٨٥٦) انها تقع في ٢٨٤ صفحة : وان البطريرك مسعداً علق في ظهرها ترجمة للمؤلف جاء فيها : « الشيخ شيبان النقيب ابن نور بن شيبان بن الياس بن نمر بن ابي ناصيف نوفل بن ابي نوفل نادر بن ابي نادر خازن بن ابي صقر ابرهيم بن الشدياق سركيس الخازن الماروني » . ثم أردف الترجمة بثلاثة أبيات من الشعر على وفاة المؤلف ، وهذا بيت التأريخ فيها :

شيبان مات فأرخوا بوفاته مات المداوي والمداوى والذي

(أي سنة ١٨٧٣) وعجز البيت مقتبس من بيت قديم ، وبقيته : « جلب الدواء وباعه ومن اشترى » . ومنه نسخة في « الخزانة المعلوفية » ذكر عنها الأستاذ المعلوف في مجلة « النعمة » (١: ٢٤٤) « انها غير كاملة » وان الكتاب من تأليف « الشيخ شيبان نمر الخازن وضعه سنة ١٨٢١ » . ومنه نسخة عند الشيخ كسروان الخازن كتبت سنة ١٩٠٥ ولا ذكر فيها لاسم المؤلف ولا لتأريخ الكتاب . وذكر الأستاذ المعلوف في « تأريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » (٤٨ — في الحاشية ٢) ما يفهم منه انّ من تأريخ الشيخ شيبان نسخة مخطوطة في خزانة بكركي . (ولعل النسخة التي اطلعنا عليها عند الشيخ كسروان الخازن ، ونقلنا عنها ما في المتن ، قد نقلت عن النسخة البطريركية المذكورة ؛ وذلك لأسباب متعددة ليس هنا موضع سردها) .

ومنهم المعلوف في « دواني القطوف » (ص: ١٩٠) ومجلة « الآثار » (١ : ٣٠٩— ٣١٠ و٣ : ٣١٧) و « تأريخ الأمير فخر الدين المعنيّ الثاني» (ص: ١٠٦ و٣٢٢)، ويقول في جميع هـذه المواضع ان الذي اشترى القرية هو الامير علي ، أمّا في مجلة « المشرق » (٣٠ : ٨٣٣) حيث اورد الخبر في كلام له ، فيقول ان الذي اشتراها هو الأمير فخر الدين ، وقال في الموضع المذكور من « دواني القطوف» انها قامت على الأمير علي «باثنين وعشرين الف غرش» إلا انه في سائر المواضع المتقدّمة ، التي نقل فيها الخبر ، يوافق في مسألة الثمن بقية النَقَلة ، ومنهم غالب في مجلة « المشرق » (٢٢ : ٥٠٣) ، وهو يذكر ان الشراء كان للأمير فخر الدين، ومنهم الهاشم في « تأريخ العاقورا » (ص: ٣٢٢) وقرألي في «فخر الدين المعنيّ الثاني » (٢ : ١٧٧) والباشا في « تأريخ طائفة الرُوم الكاثوليك والرهبانيَّـة المخلّصيَّة » (ص: ٥٣) وداغر في « تأريخ لبنان » (ص: ٥٤) ، وهؤلاء الثلاثة يذكرون ان الشراء جرى على يد الأمير فخر الدين . والذي عندنا انه لا يصحّ القول بان الامير عليًّا قد قام بالشراء ، بـل ان الذي قام به هو ابوه الأمير فخر الدين ، فان الأمير عليًّا كان لا يزال في سنة ١٦٠٩ — وهي السنة التي وقعت فيها الصفقة — في الحادية عشرة من عمره (راجعْ لذلك [الغرر الحسان— ص: ٦٢٤ و٦٢٥ — من طبعة مصر] و[تأريخ الأمير فخر الدين المعنيّ الثاني ص: ١٠٣ و ٣٢٢] للمعلوف). وبعيدٌ ، في رأينا ، ان يقوم بشراء او بيع من كان يومئذٍ يغازل الحادية عشرة من العمر ، فلم يراهق بعدُ ! هذا وإن نُقل عنه انه كان فطناً ، ذكيّ القلب ، وان والده كان يرسله ، وهو في التاسعة ، الى حلب ، يستعطف به الوزير مراد باشا . فان هـذا شيء غير القيام بشراء القرى ، وإنزال قوم فيها ، وإجلاء آخرين عنها . أضف ما جاء في «فخر الدين المعنيّ الثاني » لقرألي ، قال (٢ : ١٧٧—١٧٨) : « فلمّا هرب بطريركهم يوحنا مخلوف من جور المذكور — يريد الأمير يوسف سيفا — لاجئاً اليه — الضمير هنا يعود الى الأمير فخر الدين— استقبله فخر الدين بالترحاب ورغبه في نقل كرسيه الى مقاطعته وساعده على بناء كرسيّ له وكنيسة في قرية مجدل معوش، وما زال حتى سلَّمها للموارنة. فلما بلغت هذه الأخبار بولس الخامس كتب الى البطريرك يوحنا في ٢٥ ايلول ١٦١٠ رسالة » ثم أورد هنا فقرات من الرسالة البابويّة ،

جاء فيها : « فنرغب اليك ان ترعى صداقته » . وقد نشر قرألي نص تلك الرسالة في كتابه « فخر الدين المعني الثاني ودولة توسكانا» (٢: ١٥٥—١٥٩). وهذا صريح ، يقطع الجدل في كون الامير فخر الدين هو الذي قام بالشرا. لا ابنه علي . ولقد كتبتُ في سنة ١٩٤٣ الى الاستاذ المعلوف ، وهو ما هو في السِّيَر والأنساب والوقائع اللبنانية ، اسأله عمّا عنده على أخبار ابن ميمون في مجدل معوش ، وعلى ايام المسلمين فيها ، وخروجهم منها ، وعلى نزول النصارى هناك ، وما الى ذلك ، فأجابني بكتاب مؤرخ في ٤ من ايلول من السنة المذكورة ، جاء فيه :

«كان المسلمون ينزحون من مجدل معوش رويداً رويداً بعد ابتياعها وتخصيصها للبطريرك يوحنا مخلوف ويدخل عوضهم النصارى فكان المسلمون يضعفون والنصارى يقوون حتى ايام رسالتي الكاهنين الشمالي وسلوان فتنصر المسلمون الباقون في جوارها كما في رسالة سلوان الى المطران يوحنا حبيب مؤسس الرسالة اللبنانية في جونية الآن : فمدهم الشمالي واقام عراباً لهم سلوان . واسم المعمدين اذ ذاك مرعي حسن وأخوه اسعد . وابراهيم اسعد واخوه قبلان . ولم يبق من سلالة هؤلاء غير وحيدة ابنة ابراهيم اسعد فتزوجت في رشيا . ومن اقارب هؤلاء المتنصرين المسلمين بيت ابي سبع في بيروت . وذلك ما علقته بمفكراتي سنة ١٩٢٠ » الى أن يقول : «وقفت في مخطوطة عندي عنوانها [قواعد الآداب في حفظ الأنساب] وهي نادرة في أسر بني فوارس كالأمراء الأرسلانيين واللمعيين وغيرهم من سكنوا لبنان جاء فيها مما يتعلق بمحوثكم ما أنقله بالحرف وهو في ذكر فروع بني فوارس [وبنو حسن سكنوا خربة روحا وكفرنيس ومجدل المعوش وهم من كفرحيط او كفرحيت عند الترقب... كذلك أهل الجيه وشحيم ومزبود وعانوت والناعمة وبطلون ونحدون من مجدل المعوش سنية [» .

إما قبر ابن ميمون ، وهو الأثر الإسلاميّ الوحيد ، الذي سلم في مجدل معوش من العفاء ، على اختلاف الأيام(*) ، فانه على ربوة مرتفعة ، الى الشمال من القرية ، لا على رؤوس جبال وشعفات ذرى ، كما يُستفاد ممّا نقل ابن عماد

____

*) ظن بعضهم ان « مغارة مار إدنا » في مجدل معوش – وهو كهف في صخر مرتفع ، يستغيثون بصاحبه في شفاء الآذان – من آثار الاسلام في القرية . والصواب ان مار إدنا ، الذي يكرم ، ايضاً : في الفتوح ، وفي شبطين وحلشيت ، وفي الزاوية من لبنان ، هو في عداد القديسين عند النصارى ، واسمه طراقوس Tarachus ، ضابط روماني ولد سنة ٢٤٠ للميلاد ؛ ومات على الشهادة في المصيصة ، على شاطئ جيحان ؛ عند طرسوس : لا المصيصة التي على باب دمشق ؛ قرب بيت لهيا – والمصيصة ؛ على ما في « معجم البلدان » (٨: ٨٠ ؛ من طبعة مصر) : « بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى كذا ضبطه الأزهري وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا! لفظه وتفرد الجوهري وخالد الفارابي بأن قالا: المصيصة بتخفيف الصادين والأول أصح » – راجع في ما يتعلق بمار إدنا مجلة « المشرق » (١٣: ٨٢) و « مروج الأخيار » في وفيات اليوم ١١ من تشرين الاول ، و « مجموع أعمال القديسين » (٥٣: ٥٦٠—٥٧٤) ، و « مكتبة القديسين اللاتينية» للآباء البولنديين (Bibl. Hagiog. latina, BHL. ١١٥١)

في « شذرات الذهب » من كلام ابن عراق في « السفينة العراقية » . ولقد اصبح في وسط كرم ، لا في « أرض موات » كما كان العهد بهذه الضاحية من القرية في زمان ابن عراق . وهو اليوم ركام حجارة ، وكان من بضعة اعوام مبنياً عليه قبّة ، لاحظ بناءها بأمر من قائم مقام قضاء الشوف ، يومئذٍ ، سعيد بك نخله جدّ هذا الكاتب ، وذلك في سنة ١٨٩٩ ، ايام كان المرحوم جدّنا مديراً للعرقوب الشماليّ ، أي ناحية مجدل معوش. وكان على موضع التضريح صخرة تدلّ اليه . ولا شاهد هناك، ولا كتابة . ثم انهدمت القبّة على توالي الأيام ، وفقدان العناية بالقبر . وكان من عوامّ النصارى من يتبرّك بها ، وكان منهم من يضع السّرج عليها للاستغاثة والتوسّل . رأيتُ وهذا في سنة ١٩١٨ و ١٩١٩ مراراً ، إذ كنتُ ، حينذاك ، مديراً للعرقوب الشماليّ . ولقد توسّع الأمير شكيب ارسلان في كتابه « ملحق للجزء الاوّل من تاريخ ابن خلدون » في ذكر تجديد القبر ، قال (١٧٠—١٧١) :

« قرية مجدل معوش هي في قضاء الشوف من بلادنا في جبل لبنان وكان اهلها مسلمين من أهل السنة ؛ ووقعت بينهم عداوة شديدة فخرجوا منها واشتراها النصارى وذلك منذ مائتي سنة . ولما دخلها السيد علي بن ميمون المغربي كانت لا تزال قرية إسلامية ؛ وبقي قبر السيد من ذلك الوقت معروفاً لا يجهله أهل القرية . وجاءنا مرة الخبر بأن بعض النصارى أرادوا استعمال ذلك القبر لدفن وكان في ذلك الوقت عمنا الأمير مصطفى أرسلان قائمقام قضاء الشوف فأخبرته بالخبر فأمر مدير ناحية العرقوب الشمالي التي منه تلك القرية بأن يتحقق هذا الأمر ويمنع تعرض احد للقبر . ثم جمعنا إعانة مالية وادى كل منا ما قدر عليه ، فبلغ المجموع مائة جنيه ذهب وجددنا القبر المذكور لأنه كان قد خرب تقريباً ؛ فخشينا بسبب خرابه ان يستعمله النصارى لدفن موتاهم .

« وبلغ المرحوم الأمير علي بن الأمير عبدالقادر الجزائري شروعنا ببناء هذا القبر فأراد ان يكون له حصة في المثوبة ، فأرسل ايضاً شيئاً من المال وهكذا جددنا قبر الولي المشار اليه قدس الله سره بعد نحو من أربعمائة سنة من وفاته وكان هذا العاجز السبب في ذلك وأظن أن هذه القضية مضى عليها سبع وثلاثون سنة ؛ وقد أطلت في ترجمة السيد علي بن ميمون لكونه من أقطار أهل المغرب التي طلعت على المشرق ولكوني قمت له بخدمة قبره بعد دفنه بأربعة قرون ؛ والله على ذلك شهيد ».

٢

أمّا سبيل المؤلّف في « الكواكب السنيّة » فهو انه يسوق البيت من المقريّة ، ثم يعلّق عليه تعليقاً لغويّاً مستفيضاً ، ثم يستطرد بحسب مقامات المعنى الى آية ، او حديث ، او كلمة بارعة ، او ترجمة حال ، أو نكتة تاريخية ، أو نادرة أدبيّة ، او سيرة من غرائب السّير الى آخر ما يبدو له هناك ، ممّا يدلّ على التضلّع من

الأدب ، والمشاركة في فنون شتّى ، ويزيد قول صاحب « شذرات الذهب » في الكتاب « انه شرح حسن مفيد يدلّ على فضل المؤلف » ولقد فُتن الناسخ بتلك الفنون والأساليب التي عبرت بين يديه ، فخصّ الكتاب وصاحبه في الصفحة الأولى من الورقة ٣٤١ ، وهي الأخيرة من أوراق الكتاب ، بمدح مرقص جاء فيه « لأني طالعت كتباً كثيرة ، وتواريخ جليلة غزيرة ، فلم أجد مثل هذا التأليف الرائق الشراب البديع الترصيف » الى أن يقول « فأبرز هذه النجوم الزواهر مدُدُه ولفظها بفمه وسوّدها بقلمه رحمه الله رحمة واسعة » .

وهو كلام فيه غلوّ كثير ، لكن يستدلّ منه كرّةً ثانية على ان الناسخ نقل عن مبيّضة المؤلف نفسها ، وذلك لما يُفهم من قوله « وسوّدها بقلمه » .

وفي الكتاب معلومات نفائس ضوالّ لم نجدها في ما بين يدينا من المظانّ الكثيرة . ومنها ما جاء عن ايام الأبدال في الجبل اللبناني . قال المؤلف في الصفحة الأولى من الصحيفة ٢٩٣ : « وفي حديث احمد الأبدال اربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يُسقى به الغيث في المحل ويُنصر بهم على الأعداء ويُصرف عن أهل الشام بهم البلاء والعذاب . ومسكن الأبدال جبل لبنان وهو متّصل بحمص ودمشق قال الشاعر :

وجاور رحاب الشام لبنان انها معادن أبدال الى منتهى الدهر »

وفي البيت ، كما يرى القارئ ، نفحة تدلّ على ان صاحبه من شعراء المتصوّفة .

واذا أضفت الى الذي ذكره الأدهمي هنا عن جبل لبنان قول البشّاريّ المقدسيّ في « أحسن التقاسيم » (ص ١٨٨) : « وأمّا جبل لبنان فهو متّصل بهذا الجبل مشرف على صيداء وطرابلس كثير الأشجار والثمار المباحة وفيه عيون ضعيفة يتعبّد عندها أقوام بنوا لأنفسهم بيوتاً من القشّ وأخصاصاً من القصب يأكلون من تلك المباحات » ، وقول ابن الفقيه في « مختصر البلدان » (١١٢ — ١١٧) حيث يصف لبنان بكثرة المتعبّدين والزهّاد ، وقول ابن جبير في رحلته (ص٢٨٢) : « هذا الجبل — يريد لبنان — من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة وقلّ ما يخلو من التبتّل والزّهادة » الى أن يقول « ومن العجب انّ النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به احد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا اليهم . ويقولون هؤلاء ممّن انقطع

الى الله عزّ وجلّ فتجب مشاركتهم » نقول : اذا أضفت هذه الأقوال الى ما ساقه الادهميّ عن لبنان ، في استطراده المقدَّم ، ظهر لك المعنى من كلام لياقوت الحموي في «معجم البلدان» يتعلّق بالجبل اللبنانيّ ، وهو الكلام الذي لم يتعرَّض واحد من اصحاب كتب البلدان الى تفسيره على وجه صريح . قال ياقوت (ص ٣٢٠ — من طبعة مصر) : قال رجل لآخر لي اليك حُوَيجَة فقال لا أقضيها حتى تكون لبنانيَّةً أي مثل لبنان » . أفيكون معنى « لبنانيّةً »هذه إلا عظيمة في الكرَم ، أو في الطّيبة ، أو في الرِّفعة ، الى آخر ما يجيء في هذه الشعبة من مرادف معنى المحسود ، المتناهي في الناس ، لا انها عظيمة من حيث الكبر الذي هو خلاف الصغر ، وهو ما يوهمه تصغير الحاجة في الحكاية ، وتفسير « القاموس » « للبنانيَّة » في مادة « ل ب ن » وذلك بقوله : « عظيمة » دون ان يزيد . هذا وأضف انَّ ياقوت نفسه يقول في الموضع المذكور من « معجم البلدان » : « وفيه — يريد في جبل لبنان — يكون الأبدال من الصالحين » .

ومن استطرادات الأدهميّ في « الكواكب السنيّة » مما له صلة بكتابه الآخر « تحفة الأدب في الرِّحلة من دمياط الى الشام وحلب » ، ما جاء في الصفحة ٢ من الصحيفة ١٦٢ وفي الصفحة١ و٢ من الصحيفة ١٦٣ قال : « وقد كنت وأنا بالشهباء طلب مني مباراته — يريد مباراة الحريريّ في المقامات — بعض الادباء فاحجمت عن الإقدام لكوني لا أصلح أن أكون له باري أقلام فألحّ في الطلب ولم تردّه مدافعتي إلا الشغب » وهنا يمضي في محاكاة اسلوب المقامات محاكاةً بارعة ،الى ان يقول « وما شيء على حرفين وهو معرب بلامين . وما شيء يعمل مقلوباً وهو مستقيم عند كل نحويّ فهيم . وما شيء يستوي فيه خطاب الأنثى والذكر ، ولا يختلف حاله إلا في بعض الصور . وما شيء لا يقبل غير حرفين ولا يدخل عليه غير هذين . وهل ثبتَ أثر لا يذكر له مؤثر عند النحاة من غير منكر » الى أن يقول : « ومن أراد تفسير احاجيها وما اشتملت عليه من أبكار معانيها فليراجع رحلتنا الشاميّة » .

وهو في كل موضع يجيء فيه على ذكر « تحفة الأدب » يقول : « رحلتنا الشاميّة » .

ومن الاتفاق العجيب انه يحيل على « تحفة الأدب » ، في هذه المسائل النحويّة ، في الصفحة التي ساق فيها قصة بيت جميل في بثينة ، وهي التي أحال فيها ، في « تحفة الأدب » على « الكواكب السنيّة » !

٣

وهذه قصّة بيت جميل ، وهي في الصفحة ٢ من الصحيفة ١٦٣ والصفحة الأولى من الصحيفة ١٦٣ من المخطوط :

قال : « ومن ذلك قوله — يريد جميلاً — من قصيدة :

بثينة تزري بالغزالة والضحى ... كأنّ أباها الظبي او أمها المها

« حكي انّ هشاماً تأمّل في الوفود فلاحت له امرأة عليها سمات الجمال إلا انها كبيرة السنّ وقد ذهب اكثر محاسنها فاستدعاها وقال من انت فقالت بثينة فقال انت التي يقول فيك جميل بثينة تزري الخ . فقالت له نعم وقد قال أبلغ من ذلك فقال لها فماذا رأى بك من المحاسن حتى هام بك في الاودية والجبال فقالت له مثل ما رأى فيك الناس اذ ولّوك الخلافة وفيهم من هو أمثل منك فأمر بقضاء حاجتها وزاد في اكرامها لسرعة جوابها وفصاحتها » .

ورواية البيت (بثينة تزري) في مقالة الشيخ المغربيّ (في ظنّنا انه نقل بالحرف من التحفة) تختلف عن روايته في « الكواكب » . ففي المقالة : « بالغزالة في الضحى » وفي « الكواكب » : «بالغزالةوالضحى» كما رأيت . والذي عندنا في ذلك انّ الصواب ما في « الكواكب » ، فقد جاء في « الصحاح » ، في مادة « ض ح ا » : « ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثمّ بعده الضحا وهي حين تشرق الشمس مقصورة » ، وجاء في « الأساس » في مادة « غ ز ل » : « طلعت الغزالة وهي الشمس ولا يقال غابت وهيَ اسمها الى مدّ النهار وانتفاخه » . وانّ القارئ ليدرك بأدنى نظر انّ في « بالغزالة والضحى » زيادة معنى ، ليست في الرّواية الأخرى ، وانّ في « بالغزالة في الضحى » إسهاباً ، أي إطالة في شرح المادّة .

هذا وعسى أن نمثّل « الكواكب » بالطبع ، بعد أن نضبطه ونحرّره وننظر في وجوه التماثل ، أو التخالف ، بين النسخة التي في يدنا ، وما نظفر به من النسخ المبدّدة بين شرق وغرب . فانه لا يجوز في ذمّة الأدب إلا ان نخرج من الخمول هذا الكتاب البارع !